بين الايمان والالحاد

للأستاذ محمد رشاد عطية

الشباب هو أمل الأمة الباسم ، بساعده القوية تبنى وتزدهر ، خاصة وإذا كان مزودا بالإيمان متمثلا فى نهجه المثل العليا ، والأهداف القويمة

ولا عجب أن تولى الدول الناهضه جل اهتمامها ، وتجند كافة أجهزتها وخبراتها فى تربية الشباب وصقله ، فالأمة دائما . بخير ما دام شبابها كذلك .

ولكن فى هذه الأيام نلاحظ ظاهرة وهى استخفافهم بالدين ، وهذا لسبب بسيط جدا وهو أنهم حائرون متشككون ، صرعى القراءات السطحية ، وضحايا المذاهب المادية المعاصرة ،

وهذه الظاهرة لا أقول إنها خطيرة فحسب ، ولكنها تدعونا إلى الاهتمام بها ، والعمل على علاجها ، فهى مرحلة لابد منها فى عمر الشباب لا تلبث أن تزول .

وقد لمستها عن كثب فى صديق لى ،

قال لى : هل هناك إله حقا ؟

قلت : نعم فالإيمان بوجود الله مسألة فطرية فى كل نفس وفى كل قلب

فقال : ما دليلك ؟

قلت له : الأدلة كثيرة وفى منتهى البساطه ، أنظر فى نفسك أنت ، كنت نطفةً ، ثم علقة ثم مضغة ثم لحما وعظما ودما ، وكنت طفلا ثم شابا وستصير كهلا فشيخا ، فهل أنت الذى أحدثت فى نفسك هذه الأطوار؟ ، بديهى أنك عاجز عن هذا ، وكما أنه لكل مصنوع صانع ، فبالتسلسل يتبين لك أن هناك إله مدبر لهذا الكون .

والقرآن دعاك لتتدبر آياته ،

لكى يكون ذلك سبيلك إلى الإيمان (أفلا يتدبرون القرآن ! ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) .

وقد قال عز وجل (وإلهكم إلهٌ واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض ، بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) .

وكتاب الله يحترمك كإنسان عاقل مفكر ، فدائما آياته ممزوجة بقوله : إن فى ذلك : لآيات لقوم يعقلون ، يتفكرون ، يتذكرون ، يفقهون ، يعلمون .

وقد صور القرآن الكريم فى أبدع تصوير تدرج العقل البشرى فى البحث عن الله فى قصة إبراهيم :

وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ، وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت ، قال ياقوم إنى برىء مما تشركون ، إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) .

فقال الصديق : ما دام الله موجودا فلماذا لا نراه ولا نكلمه؟ .

قلت له : إن هذه حجة ساقطة لا يقبلها العقل ، الذى يرتاد فى كل يوم مجاهل جديدة لم يسبق له ارتيادها من قبل ، إننا نعلق الآمال الآن على غزو الفضاء ، مع أنه خارج عن نطاق الحواس وإننا مسلمون بوجود الأثر ونراه ، وبالطبع أنت تؤمن بعملية التفكير ، فهل هى فى الكلمات المنطوقة أو المسموعة ؟ ، قطعا لا ، هى شىء غير هذا وذاك ، ولا تستطيع أن تراه ولا أن تعرف كنهه .

واستمرت المجادلات بينى وبين الصديق ، وافترقنا بلا اتفاق ، أنا مؤمن وهو منكر .

والحقيقة أن السبب الجوهرى

للتيار الإلحادى الذى ينساق فيه شبابنا هو أنه لا يمعن التفكير ، يرسل الكلام بلا رويه ، وبدون سند أو دليل ، علاوة على ضآله ثقافته ؛ بل انعدامها فى كثير من الأحيان ، فلو كانت عنده ثقافة دينية عميقة أصيلة ، تدبر فيها كتاب الله ، وتفهم مراميه ، واطلع على المراحل الفكرية التى سارت فيها البشرية فى هذا السبيل وأتاح لنفسه فرصه قراءة أمهات الكتب الإسلامية لما اندفع وراء الدعوات التى تنكر وجود الخالق .

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره) .

من أدب التوجيه الصوفى :

الدعاء . . . والإجابة

قيل لإبراهيم بن أدهم ، ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا ، وقد قال الله تعالى : « ادعونى استجب لكم »

فقال : لأن قلوبكم ميتة !! قيل : ماالذى أماتها ؟ قال : عشر خصال ،

عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه ، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده ، وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتركتم سنته ، وقلتم نخشى الموت ، ولم تستعدوا له ، وقد قال تعالى ، « إن الشيطان لكم عدو » فواطأتموه على المعاصى ، وقلتم نخاف النار وأحرقتم أبدانكم فيها ، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها ، وأكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكره ، ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم ، وإذا قمتم من فُرشكم ، رميتم عيوبكم وراء ظهوركم ، وافترشتم عيوب الناس أمامكم ، فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم . ؟